

## التحرير والتنوير

وهذا هو مقتضى ما في كتاب يونس من كتب اليهود إذ وقع في الإصحاح الثالث " ثم صار قول الرب إلى يونس ثانية : قم اذهب إلى نينوى وناد لها المناداة التي أنا مكلّمك بها " . والمرسل إليهم : اليهود القانطون في نينوى في أسر الآشوريين كما تقدم . والظاهر أن الرسول إذا بعث إلى قوم مختلطين بغيرهم أن تعم رسالته جميع الخلط لأن في تمييز البعض بالدعوة تقريراً لكفر غيرهم . ولهذا لما بعث  $\square$  موسى عليه السلام لتخليص بني إسرائيل دعا فرعون وقومه إلى نيز عبادة الأصنام فيحتمل أن المقدرين بمائة ألف هم اليهود وأن المعطوفين بقوله ( أو يزيدون ) هم بقية سكان " نينوى " . وذكر في كتاب يونس أن دعوة يونس لما بلغت ملك نينوى قام عن كرسيه وخلع رداءه ولبس مسحا وأمر أهل مدينته بالتوبة والإيمان الخ . ولم يذكر أن يونس دعا غير أهل نينوى من بلاد آشور مع سعتها . وروى الترمذي عن أبي بن كعب قال : سألت رسول  $\square$  A عن قول  $\square$  تعالى ( وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيد ) قال : " عشرون ألفا " . قال الترمذي : حديث غريب . فحرف ( أو ) في قوله ( أو يزيدون ) بمعنى ( بل ) على قول الكوفيين واختيار الفراء وأبي علي الفارسي وابن جني وابن برهان . واستشهدوا بقول جرير : E A . ماذا ترى في عيال قد برمت بهم ... لم أحص عدتهم إلا بعداد . كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية ... لولا رجاؤك قد قتلت أولادي والبصريون لا يجيزون ذلك إلا بشرطين أن يتقدمها نفي أو نهي وأن يعاد العامل وتأملوا هذه الآية بأن ( أو ) للتخيير والمعنى إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول : هم مائة ألف أو يقول : يزيدون . ويرجح أن المعطوف ب ( أو ) غير مفرد بل هو كلام مبين ناسب أن يكون الحرف للإضراب . والفاء في ( فآمنوا ) للتعقيب العرفي لأن يونس لما أرسل إليهم ودعاهم امتنعوا في أول الأمر فأخبرهم بوعيد بهلاكهم بعد أربعين يوماً ثم خافوا فآمنوا كما أشار إليه قوله تعالى ( فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ) . ( فاستفتهم ألبك البنات ولهم البنون [ 149 ] ) تفريع على ما تقدم من الإنكار على المشركين وإبطال دعاويهم وضرب الأمثال لهم بنظرائهم من الأمم ففرغ عليه أمر  $\square$  رسوله A بإبطال ما نسبته المشركون إلى  $\square$  من الولد . فضمير الغيبة من قوله ( فاستفتهم ) عائد على غير مذكور يعلم من المقام . مثل نظيره السابق في قوله ( فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم خلقنا ) . والمراد : التهكم عليهم بصورة

الاستفتاء إذ يقولون : ولد ا □ على أنهم قسموا قسمة ضيزى حيث جعلوا □ البنات وهم يرغبون في الأبناء الذكور ويكرهون الإناث فجعلوا □ ما يكرهون .

وقد جاءوا في مقالهم هذا بثلاثة أنواع من الكفر : أحدها : أنهم أثبتوا التجسيم □ لأن الولادة من أحوال الأجسام .

الثاني : إثثار أنفسهم بالأفضل وجعلهم □ الأقل . قال تعالى ( وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ) .

الثالث : أنهم جعلوا للملائكة المقربين وصف الأنوثة وهم يتعيرون بأبي الإناث ولذلك كرر □ تعالى هذه الأنواع من كفرهم في كتابه غير مرة .

فجمله ( ألبك البنات ) بيان لجمله ( فاستفتهم ) .

وضمير ( لربك ) مخاطب به النبي A وهو حكاية للاستفتاء بالمعنى لأنه إذا استفتاهم يقول : ألبكم البنات وكذلك ضمير ( ولهم ) محكي بالمعنى لأنه إنما يقول لهم : ولكم البنون . وهذا التصرف يقع في حكاية القول ونحوه مما فيه معنى القول مثل الاستفتاء .

( أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون [ 150 ] ) ( أم ) منقطعة بمعنى ( بل ) وهي لا يفارقها معنى الاستفهام فالكلام بعدها مقدر بهمزة الاستفهام أي بل أخلقنا الملائكة إناثا .

وضمير ( خلقنا ) التفات من الغيبة إلى التكلم وهو إذا استفتاهم يقول لهم : أم خلق الملائكة كما تقدم والاستفهام إنكاري وتعجيبى من جرأتهم وقولهم بلا علم